مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٧ع٤ ص ص: ٢٢٧- ٢٤٨ (٢٠١٩م)
DOI:10.4197/Art.27-4.9

عصر الرسالة في المصادر النصرانية الشرقية: دراسة لتطور صورة النبي صلى الله عليه وسلم- في كتابات المؤرخين السريان

د. عوض بن عبدالله بن سعد بن ناحي العسيري
استاذ التاريخ المساعد بجامعة نجران

ملخص. تتناول هذه الدراسة تطور صورة النبي – صلى الله عليه وسلم – في حوليات التاريخ السريانية التي كتبها مؤرخو الطوائف النصرانية السريانية في بلاد الرافدين، و الشام، وقد كانت هذه النوعية من المصادر محل اهتمام لدراسات سابقة ركّزت على صورة الإسلام "إجمالاً" في المصادر السريانية دون التركيز على صورة الرسول – صلى الله عليه وسلم- نفسه في تلك المصادر وهو السؤال الذي حاولت الدراسة الحالية الإجابة عليه.

وتسلّط هذه الدراسة الضوء على ما ورد في الكتابات التاريخية السريانية عن النبي – صلى الله عليه وسلم ، منذ القرن السابع وحتى القرن الثاني عشر الميلادي، الأول وحتى الخامس الهجري، حول شخصية محمد – صلى الله عليه وسلم- مع دراسة تطور هذه الصورة طيلة خمسة قرون، مع تتبع المصادر التي اعتمد عليها المؤرخون السريان في تصويرهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – له كزعيم دنيوي، أو حامل عقيدة جديدة، أم مدعي نبوة بحسب وجهة النظر السريانية.

الكلمات الدالة: الرسول – صلى الله عليه وسلم-، النبي – صلى الله عليه وسلم –، السريان، النصرانية، حوليات.

مدخل إلى إشكالية الدراسة

كان ظهور دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم- محط اهتمام لمؤرخي الكنائس النصرانية في بلاد الرافدين، والشام، ومصر، وغيرها من بلدان الشرق الأدنى منذ وقت مبكر جداً. ولأن بقي اهتمام الباحثين العرب المعاصرين في الاطلاع على مثل هذه الكتابات محدوداً ولم يتطور إلا قبل سنوات قليلة حينما بدأت تخرج إلى النور دراسات جادة ركزت في معظمها على صورة الفاتحين العرب في كتابات مؤرخي البلاد المغلوبة وأكثرهم رجال كنيسة نصارى

وهو ما يمكن قراءته بوضوح في كتابي حسام عيتاني و تيسير خلف اللذين يميلان إلى تقديم قراءة سردية أكثر منها نقدية لما كتبه المؤرخون النصارى الشرقيين – وليس كلهم– عن ظهور الإسلام، وحركة الفتوحات وعلاقة المسلمين بأهل البلاد المفتوحة[١]. وظهر أن المؤلفين أعطيا قدراً من الاهتمام لتسميات العرب الفاتحين في لغات الأمم المغلوبة إلى جانب وصف المؤرخين النصارى لمجريات وحوادث حركة الفتوحات[٢]، بينما في دراسة أخرى ركّز محمد مجيد بلال على تقديم دراسة مقارنة ونقدية لكتابي "تاريخ ميخائيل السرياني الكبير" لميخائيل السرياني و "تاريخ الرسل و الملوك" لمحمد بن جرير الطبري"[٣]، وتختلف هذه الدراسة عن سابقتيها في انصباب اهتمامها على دراسة القضايا السابقة كلها في ضوء المحتوى التاريخي لكتابي الطبري وميخائيل السرياني.

غير أن مدرسة الإستشراق الغربية كانت أكثر جدية، وشمولاً وعمقاً في دراسة هذه النوعية من المصادر من نظيرتها العربية في تبني منهج نقدي وتحليلي أكثر عمقاً وشمولاً، وهو ما نجده في كتاب "ولتر كيغي" (Walter Kaegi) عن "بيزنطة و الفتوحات الإسلامية المبكرة" (Byzantium and the early Islamic conquests)[٤]، و "روبرت هويلند" (Robert G. Hoyland) عن "الإسلام كما رآه الآخرون" (Seeing Islam As Others Saw It) [٥]، و "مايكل فيليب بن" في كتابيه عن "صورة الإسلام المبكر عند النصارى السريان" (Envisioning Islam Syriac Christians and the Early Muslim World) [٦]، و" عندما التقى النصارى بالمسلمين لأول مرة" (When Christians first met Muslims). [٧] ويبدو واضحاً أن هذه الدراسات جميعها ركزت على دراسة صورة الإسلام – إجمالاً– في المصادر السريانية دون تخصيص موضوع بعينه في نقاشها، لذلك كان نقاش هذه الدراسات لمسألة تكّون الصورة النمطية للنبي – صلى الله عليه وسلم – يندرج ضمن دراسة السياق التاريخي العام لصورة الإسلام في المصادر النصرانية الشرقية، والتي تشمل الكتابات الأرمنية، اليونانية، القبطية، اللاتينية، والسريانية، والعربية النصرانية فبقيت منقوصة لم تنل حقها الكامل من الدراسة و التقصي، فدراسة أسباب تكون تلك الصورة بطابعها " الغامض" و "المغلوط"، ومن

١ خلف، تيسير، *الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية*، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ٣٢- ٧٢؛ عيتاني، حسام، *الفتوحات العربية في روايات المغلوبين*، دار الساقي، ٢٠١١م، ص ١٩- ١٣١.

٢ نفس المرجعين ونفس الصفحات.

٣ بلال، محمد مجيد، *الإسلام المبكر في التواريخ السريانية: دراسة مقارنة بين تاريخ الطبري وتاريخ ميخائيل الكبير*، ، دار الرافدين للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٥م، ص ٧٣- ١٩٣.

4 Kaegi, Walter E. *Byzantium and the early Islamic conquests*. Cambridge University Press, 1995, pp 1- 234.

5 Hoyland, Robert G. *Seeing Islam as others saw it: a survey and evaluation of Christian, Jewish, and Zoroastrian writings on early Islam*, , Princeton, N.J., Darwin Press 1997, pp116 - 215.

6 Penn, Michael Philip. *Envisioning Islam: Syriac Christians and the Early Muslim World*. University of Pennsylvania Press, 2015, pp1- 186.

7 Penn, Michael Philip. *When Christians first met Muslims: a sourcebook of the earliest Syriac writings on Islam*. Univ of California Press, 2015, pp 1- 215.

ثم عوامل تطورها و تغيرها عبر ثلاثة قرون تبقى أسئلة تحتاج إلى إجابات وافية.

غير أن مكمن الخطورة في المصادر النصرانية الشرقية، محاولة توظيفها في إعادة صياغة تاريخ صدر الإسلام بغية خلق صورة مغايرة لحقيقة الإسلام كعقيدة، وهوية، وتاريخ، والتي توارثناها من القرآن والسنة ومصادر التراث الإسلامي المتعددة، ويأتي في مقدمة ذلك كتاب "الهاجرية" (Hagarism) لباتريشا كرون (Patricia Crone) و مايكل كوك (Michael Cook) اللذين وجدا في "التراث النصراني الشرقي" مادة تاريخية حاولا من خلالها تقديم صياغة وقراءة مختلفة للبناء التاريخي الإسلامي منذ بداية نبوته –صلى الله عليه وسلم – وصولاً إلى العصر الأموي الذي شهد توسع رقعة دولة الإسلام شرقاً وغرباً، ومكمن الخطورة في قراءة كرونة وكوك تناقضها الصريح مع تلك الصورة التي حفظها القرآن والسنة وكتب التراث الإسلامي وتوارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل بزعمهما أنه لم يكن إلا خليطاً من حركة يهودية– نصرانية اكتسحت أراضي الدولة البيزنطية [٨] .

وعلى النسق نفسه قدم فريد دونر (Fred Donner) طرحاً مشابهاً في كتابه عن " محمد – صلى الله عليه وسلم – وجماعة المؤمنين" (Muhammad and the Believers) وإن اعتمد في كتابه هذا على النص القرآني والتراث الإسلامي[٩]، ورغم إقراره بأهمية العامل الديني في بناء دولة الإسلام وصياغة هويتها السياسية والفكرية والاجتماعية، إلا أنه يزعم أن الإسلام لم يكن سوى حركة روحانية أكثر منها ديناً متكاملاً ولم يبدأ يتبلور ديناً حقيقياً وهويةً إلا منذ عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أما قبل ذلك فهو خليط من المعتقدات النصرانية واليهودية. [١٠]

ويبدو – واضحاً – تأثر كرونة وكوك ودونر بالمنهج التشكيكي (Scepticism) والذي يجادل في أصالة ومصداقية التراث الإسلامي باحتجاجهم أن هذا التراث لم يُدّون معظمه إلا في العصر العباسي، وهي أطروحات لقيت نقداً واسعاً في أوساط المستشرقين أنفسهم كمونتقمري وات (Montgomery Watt)، روبرت هويلند و جوزيف فان اس (Josef Van Ess)، وهارولد متسكي (Harald Motzki) بسبب تهميشها المصادر الإسلامية وتبنيها للنوع الآخر من المصادر غير الإسلامية – بما فيها السريانية – والتي لا تقدم ما يكفي لكتابة التاريخ الحقيقي لصدر الإسلام، إذ يعتريها الكثير من التشويه و التحريف للصورة الحقيقية للإسلام[١١].

---

8 Patricia Crone, and M. A. Cook. *Hagarism: the making of the Islamic world, Patricia Crone, Michael Cook*, Cambridge, Cambridge University Press, 1976, pp3- 148.

9 Donner, Fred McGraw. *Muhammad and the believers: at the origins of Islam*, Cambridge, Mass, The Belknap Press of Harvard University Press, 2012, pp 3- 203.

10 Donner, Op.cit, p 215.

١١ وات، مونتجمري، " كتاب الهاجرية"، *مجلة المؤرخ العربي*، العدد العاشر، ١٩٧٩م، بغداد، ص ٢٢٤.

Van Ess, Josef. "The making of Islam", *Times Literary Supplement* 8 (1978). p 998؛ Serjeant, Robert, B.

في الدراسة الحالية يركز الباحث على ثمة استنتاج لافت للمستشرق البريطاني روبرت هويلند الذي يرى في تلك المادة التاريخية للمصادر النصرانية الشرقية ثمة أدلة تؤكد على هوية الإسلام، فقد قاد استنتاج هويلند هذا الباحث لدراسة نوع آخر من المصادر التي تمثل وجهة النظر الأخرى المقابلة للإسلام أو الصورة التي رسمتها كتابات الأمم المغلوبة عن الإسلام، وأبرز هذه الكتابات هي ما تركه لنا مؤرخو الكنائس الشرقية من النصارى السريان في بلاد الهلال الخصيب، ومصر، وآسيا الصغرى من حوليات مكتوبة تعود إلى القرن السابع الميلادي/ الأول الهجري.

وقد توفر لهذه الدراسة عدة حوليات نصرانية دُوّن معظمها باللغة السريانية قبل ترجمتها إلى اللغتين العربية والانجليزية. وقد اتسم المنهج "التأريخي" لمعظم هذه الحوليات بالاختصار الشديد، وتدوين الحوادث باستخدام المنهج الحولي بحسب السنين. ولذلك نجد أن كثيراً من هذه الحوليات توثق حوادث عظام في بضع كلامات لا تتجاوز النصف سطر، أو السطر في أحايين كثيرة، إضافة إلى أن كثيراً من مدوني تلك الحوليات، و- خاصة المبكرة-، لا يشيرون إلى مصادرهم، وعلى الرغم من شح وقلة ما كتبته الحوليات النصرانية عن الإسلام المبكر، إلا أنها تقدم مادة تاريخية ثمينة أشبه ما تكون بالمحايدة أو المستقلة حتى وإن تضمنت معلومات مغلوطة أو رسمت صوراً غير دقيقة لتاريخ صدر الإسلام، ذلك أن كثيراً من المؤرخين السريان سواء في بلاد الرافدين حيث الحكم الفارسي الساساني أو بلاد الشام الخاضعة للحكم البيزنطي اتخذوا دور المحايد تجاه مسار الأحداث، بل إن بعضهم لم يخف سروره تجاه الفاتحين الجدد[١٢].

وستقتصر هذه الدراسة على معالجة سؤال رئيس هام يتمثل في ماهية نظرة المؤرخين النصارى السريان – تحديداً- إلى شخصية النبي –صلى الله عليه وسلم- ومتى كانت بداياتها؟ وعوامل تشكلها وأسباب تطورها؟ وتحت هذه الأسئلة تركز هذا الدراسة على مناقشة مدى تأثير انتشار الإسلام، وعلاقة المسلمين بطوائف النصارى في توضيح هذه الصورة.

حوليات القرن السابع الميلادي/ الأول الهجري

بين وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم- وأول إشارة مباشرة إلى اسمه الصريح – عليه الصلاة والسلام- في مصادر هذه الفترة المبكرة مدة زمنية لا تتجاوز الأربع سنوات فقط. ولعل من أهم وأقدم المصادر

Journal of the Royal Asiatic Society (1978), " Reviewed Works, Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation *by J, Wansbrough ;*Hagarism: The Making of the Islamic World by Patricia Crone, Michael Cook" pp. 76-78, p 78؛ Motzki, Harald, (2000). *The Biography of Muhammad: The Issue of the Sources (Islamic History and Civilization: Studies and Texts*. "The Murder of Ibn Abī l-Huqayq: On the Origin and Reliability of some Maghāzī-Reports", Vol. 32. Brill, p 233 ؛ Holyand, Robert, 2012, Review of B. K. Haight, and B. S. Haight *'The Handbook of Structured Life Review' International Journal of Middle East Studie"s*, issue 44, pp 573-576, p 576.

12 Scher, Addai. *Histoire Nestorienne Inédite:(Chronique de Séert),* libarie de Paris, Brepols, Paris, 1950, p 600.

السريانية "نبذة تاريخية عن فتوحات العرب" (Fragment on the Arab Conquests) تعود إلى العام ١٥هـ/ ٦٣٦م وُجدت مكتوبة في الصفحات الأولى لأحد الأناجيل القديمة باللغة السريانية [١٣]. و يشير كاتب "النبذة" المجهول إلى ما أسماه بـ "عرب محمد" في معرض حديثه عن مجريات معركة اليرموك التي أطلق عليها "معركة الجابية " (Battle of Gabitha) لقربها الجغرافي من موقع المعركة الذي اصطلحت عليه المصادر الإسلامية [١٤]. ويرى "ثيودور نولدكة" و "روبرت هويلند" أن كاتب هذه النبذة كان معاصراً لتفاصيل تلك الأحداث مما جعله يدونها كشاهد عيان [١٥]، غير أن اللافت للباحث أن مدون هذه النبذة المجهول لم يفصح عن حقيقة فهمه لحقيقة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– أكان نبياً أو ملكاً على سبيل المثال، ذلك أن حقيقة رسالته – عليه الصلاة والسلام– لم تكن على الأرجح قد تبلورت بشكلها الصحيح عند معظم عامة الناس في البلاد المفتوحة خلال السنوات القليلة التي أعقبت وفاته – صلى الله عليه وسلم–، أو ربما اعتمد كاتب هذه النبذة على ما نُقل إليه مرويات شفهية قد يعتريها التحريف والنقص أوالمبالغة وهو ما جرت عليه العادة في مثل هذا النوع من المادة التاريخية.

وتتخذ "باتريشا كرونة" و "مايكل كوك" من هذا النص دليلاً على أن النبي –صلى الله عليه وسلم– بقي حياً حتى معركة اليرموك مما يعد تناقضاً صارخاً مع الثابت بالإجماع في مصادر التراث الإسلامي حول تاريخ وفاته –صلى الله عليه وسلم– [١٦]، غير أن هذا الزعم على ما يبدو حمّل النص التاريخي أكثر مما يحتمل وجعل مجرد قوله "عرب محمد" دليلاً على أنه – صلى الله عليه وسلم– لا يزال حياً، فمجرد الإشارة إلى " محمد" لا تعني أنه بالضرورة بقي حياً إلى هذا التاريخ ذلك أن كاتب النبذة المجهول لم يذكر مثلاً أنه – صلى الله عليه وسلم– حضر أحداث هذه الموقعة أو قاد جيش المسلمين فيها.

غير أن حولية سريانية لمؤلف مجهول عاش في بلاد الأحواز وكان معاصراً للفتح العربي الإسلامي لبلاد الرافدين والهضبة الإيرانية تنقل لنا صورة أكثر وضوحاً [١٧]. إذ يتحدث المؤلف المجهول عن انتصار أبناء إسماعيل العرب قائلاً: " في ذلك الزمان، أخرج الله على الفرس بني إسماعيل –يقصد العرب المسلمين– وكانوا أشبه بالرمل الذي على ساحل البحر عدداً، وكان يدبر أمورهم زعيمهم محمد

---

13 Palmer, Andrew, Sebastian P. Brock, and Robert Hoyland, eds. *The seventh century in the West-Syrian chronicles*, Vol. 15, 1993, Liverpool University Press, p 2.

Hoyland, Op.cit, p 117.

١٤ وبحسب هويلند: ورد اسم الرسول –صلى الله عليه وسلم- في المخطوط هكذا: Mūḥmad والذي يتفق إلى حد بعيد مع الصياغة الانجليزية المعتادة "Muhammad " . انظر :

Hoyland, Op.cit, p 117.

15 Hoyland, Op.cit, p 117.

16 Crone and Cook, Op.cit, p 4.

١٧ مؤلف مجهول، *التاريخ الصغير، القرن السابع الميلادي*، ترجمه وعلق عليه، بطرس حداد، مجمع اللغة السريانية، بغداد، ١٩٧٧م، ص٩١. وانظر النص مكتملاً عند:

al-Kaʻbī, Naṣīr ʻAbd al-Ḥusayn. *A short chronicle on the end of the Sasanian Empire and early Islam 590-660 AD*, Piscataway, NJ , Gorgias Press, 2016, p 120.

ولم تصدهم أسوار ولا سلاح ولا تروس " [١٨]. ويبدو هنا أن كاتب هذه الحولية كان أكثر وضوحاً من سابقه في إيضاح موقفه من حقيقة محمد –صلى الله عليه وسلم–، إلا أنه فيما يبدو لم ينظر إليه إلا كزعيم دنيوي، وهو بلا شك فهم قاصر عن الحقيقة التي ستتبلور لاحقاً، والأرجح أن سبب ذلك اعتماد هذا المؤلف المجهول كسابقه على ما يصله من روايات شفهية محرفة.

وإذا ما انتقلنا إلى مصدر آخر من أهم مصادر القرن السابع وهو حولية منسوبة إلى "توما القسيس" (Thomas the Presbyter)[١٩]، والتي تحدث فيها عن الصدام العسكري بين المسلمين والروم قائلاً:" ... في يوم الجمعة الرابع من فبراير ٦٣٤م، وقعت معركة بين الروم وعرب محمد "طائيي محمد" (Ṭāyyyāe d–Mḥmt) في فلسطين، اثنا عشر ميلاً إلى الشرق من غزة. فر الروم تاركين البطريق بريردن (Bryrdn) الذي قتله العرب ... " [٢٠]. ويبدو واضحاً أن توما يقصد هنا معركة اجنادين التي وقعت في ذات المنطقة الجغرافية التي وصفها المؤلف، وفي التاريخ نفسه (٢٧ من جمادى الأولى ١٣ هـ/ ٣٠ من يوليو ٦٣٤م)[٢١].

و المثير للاستغراب أن "ولتر كيغي" (Walter Kaegi) لم يشر إلى هذا المصدر الهام في معرض نقاشه عن المصادر النصرانية التي تحدثت عن هذه الموقعة، واستعاض عنه بمصدر لاتيني آخر وهو "تاريخ فريدريقارس" (Chronicle of Fredegarius) الذي كُتب بين عامي ٣٧و ٣٩هـ/ ٦٥٨ و ٦٦٠م [٢٢]. ويتكرر الاستغراب نفسه حينما اعتبر هويلند و فريد دونر أن توما القسيس هو أول من أورد إشارة صريحة إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم– رغم أن كلا المؤلفين قيّدا النبذة التاريخية و الحولية الأحوازية ضمن قائمة المصادر السريانية لتاريخ الإسلام المبكر[٢٣]، بل إنه يتضح للباحث أن توما القسيس لم يختلف هنا في تصوره لشخصية الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن سابقيه إذ اكتفى بالتلميح إليه كزعيم لقومه العرب المسلمين. غير أن اللافت استخدامه كلمة "الطائيين" للإشارة إلى العرب الفاتحين، وهي في الحقيقة إحدى المصطلحات التي أطلقتها الأمم المجاورة في بلاد الرافدين والشام على جيرانهم العرب فمرة يسمونهم "الإسماعيليين" أي أبناء إسماعيل، و في ثانية "الهاجريون" أي أبناء هاجر، وأخرى "السراسنة" (Saracens) وهي مفردة

---

١٨ مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص ٩١.
al-Ka'bī, Op.cit, p 120,

١٩ رجل دين و مؤرخ سرياني عاش معظم حياته في أحد الأديرة القريبة من مدينةماردين والتي عايش فيها أحداث الفتح العربي و الإسلامي لهذه المدينة، أفرام، إغناطيوس، *اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية*، حلب، سوريا، التراث السرياني، ١٩٩٦م، ص ٢٧٩.

20 Palmer etc, Op.cit, p 19.
Hoyland, Op.cit, p 120.

٢١ تقع اجنادين بالقرب من الرملة و إلى الشمال الشرقي من غزة. انظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ، ط ٣،ج ١، ص ١١٤؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، *فتوح البلدان*، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١١٦؛ الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، *معجم البلدان* ،ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص ١٠٣؛ الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، *فتوح الشام*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٥٩.

22 Kaegi, Op.cit, p 98.

23 Hoyland, Op.cit, p 120. Donner, Op.cit, p 86, p123.

استخدمها اليونان القدماء لوصف من سكنوا جنوب بلاد الشام، أي شمال غربي جزيرة العرب [٢٤].

ومن أبرز مؤرخي السريان في هذا القرن يعقوب الرهاوي[٢٥]، الذي كتب معلومات لافتة وذات أهمية بالغة عن شخصية النبي – صلى الله عليه وسلم– رغم أنها مختصرة للغاية ولا جديد فيها مقارنة بما تعلمناه من مصادر السيرة الإسلامية [٢٦]. إذ يشير الرهاوي إلى ذهاب النبي محمد –عليه الصلاة والسلام– إلى فلسطين لغرض التجارة، ثم يعود في موضع آخر ليصفه بأول ملوك العرب لسبع سنين، وقصة ذهاب النبي –صلى الله عليه وسلم – إلى بلاد الشام لغرض التجارة مشهورة، وثابتة في مصادر السيرة النبوية أنها كانت في ريعان شبابه قبل بعثته – صلى الله عليه وسلم– [٢٧]، وكان حينها بلا شك شخصية مغمورة. ولذلك فمن بديهي القول أن الرهاوي استقى معلومته هذه ممن خالطهم من المسلمين الفاتحين بشكل مباشر أو عبر الروايات الشفهية المتناقلة بين أكثر من شخص. غير أن فهم الرهاوي لحقيقة شخصية الرسول –صلى الله عليه وسلم– لم يتجاوز سابقيه في تصوره له على أنه زعيم دنيوي لا نبي خاتم للأنبياء والمرسلين. و يزداد الاستغراب إذا ما علمنا أن الرهاوي عاصر الحكم العربي الإسلامي (الخلافة الراشدة وخلافة معاوية – رضي الله عنهم–) لبلدته الرها [٢٨]، ولذلك فمن المنطقي أن تزداد معرفته بشخصية النبي – صلى الله عليه وسلم– نتيجة مخالطته للمسلمين في زمنه، وكيف لا وهو من استقى منهم قصة سفره – عليه الصلاة والسلام– إلى بلاد الشام لغرض التجارة.

بل إن الرهاوي في رسالتين نادرتين إلى رجلي دين سريان "أدي"، و "يوحنا المعمودي" يعترف بالإسلام صراحة، ويسمي المسلمين باسمهم الصريح "مسلمين"، بدلاً من "سراسنة" أو "هاجريين" متجاوزاً في ذلك من سبقه من المؤرخين السريان، وتحدث بتفصيل واضح عن الردة وموقف الإسلام من السيد المسيح –عليه السلام– [٢٩]. لكنه مع ذلك كله لم

٢٤ عيتاني، الفتوحات العربية في روايات المغلوبين، ص ٢١- ٣٧.

٢٥ رجل دين ولاهوتي ومؤرخ سرياني له العديد من المؤلفات في اللاهوت، والفلسفة وعلوم اللغة السريانية والتاريخ. ولد عام ٦٤٠م في بلدة عيندابا بالقرب من حلب قبل أن ينتقل إلى قنسرين ثم حلب حيث أكمل تعليمه في أديرتها. عمل فيما بعد أسقفا على مدينة الرها لعدة سنوات قبل عزله بسبب خلافات كنسية غير أنه عيين أواخر حياته رئيساً لأساقفة الرها قبل وفاته عام ٧٠٤م.

انظر: كامل، مراد ، البكري، محمد حمدي ، رشدي، زاكية محمد، *تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى العصر الحاضر، الجزء١* ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٢٦٣- ٢٧٦.

J.M. Sauget. "Jacob of Edessa", *Encyclopedia of the Early Church* 1 (1992), pp 428–429.

26 Brooks, Ernest Walter. "The Chronological Canon of James of Edessa." *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* 54.1 (1900): 100-102. p 323 , 326.

وانظر الترجمة العربية في: حبي، يوسف، *تواريخ سريانية من القرون ٧- ٩ م*، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢م، ص ١٩١.

٢٧ بن هشام، عبد الملك، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، *السيرة النبوية*، تحقيق، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ج١، ص١٨٨؛ الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص ٢٩.

٢٨ فتحها المسلمون صلحاً بقيادة عياض بن غنم عام ١٧هـ/ ٦٣٨م زمن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- انظر: محمد بن عمر الواقدي ، فتوح الشام، ج٢ ، ص١١٨؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٧٢.

29 Hoyland, Robert. "Jacob and Early Islamic Edessa." *Cambridge Studies in Islamic Civilization; Cambridge* 2 (2000): 32, p 11- 24, Leiden - Boston, Brill, P 17, 18.

Herman G. Teule, "Jacob of Edessa", *Christian-Muslim relations: a bibliographical history*. Volume 1, p 226-233, Leiden, Brill, (2009), p 227.

يشر في رسالتيه من بعيد أو قريب إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو ما يجعل احتمالية ذكره للنبي – صلى الله عليه وسلم– في رسائله الأخرى المفقودة أمر مُحتمل.

ولا يمكن تجاوز القرن السابع الميلادي دون الوقوف عند ما كتبه مؤرخ سرياني آخر يدعى "يوحنا بن الفنكي" الذي عاصر الحكم الأموي[٣٠]، وتحديداً في الفترة بين حكم معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه– وعبد الملك بن مروان. وله حولية بعنوان "كتاب النقاط البارزة" استعرض فيها التاريخ العالمي منذ بدء الخليقة وحتى الخلافة الأموية في عصره. وما يهم الباحث هو ما سجله بن الفنكي من وجهة نظر حول شخصية النبي –صلى الله عليه وسلم– والتي تبدو مختلفة عما سبقها. فقد تحدث المؤلف عن أسباب انتصار المسلمين، أو "بنو هاجر" على حد وصفه لهم، ضد خصومهم البيزنطيين والفرس[٣١]. فالسبب كان في رأيه كونهم حملة رسالة سماوية جعلتهم يتعاملون مع قومه النصارى، ودور عباداتهم بتسامح ولذلك "عم السلام وازدهرت العدالة".

٣٠ يوحنا ابن الفنكي رجل دين سرياني ولد في بلدة فنك الواقعة على نهر الفرات في جزيرة ابن عمر بجنوب شرق تركيا حاليا. لا يُعرف تاريخ محدد لتاريخ ولادته لكن الواضح أنه عاش في النصف الأخير من القرن السابع الميلادي أو أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجريين. انظر:

Thomas, David, Roggema, Barbara, Pedro, Juan and Monferrer Sala,. *Christian-Muslim relations: a bibliographical history*, Volume 1, Volume 1, Leiden, Brill, (2009), p 176.

31 Brock, Sebastian P, "North Mesopotamia in the Late Seventh Century: Book XV of John Bar Penkaye's Ris Melle'," *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* 9, (1987), 51-75, p 61.

ويضيف ابن الفنكي: "... لقد كان سبب ذلك ما جاء به " مرشدهم" و"هاديهم"، رجل يقال له "محمد" ، دعاهم إلى عبادة الله الواحد..." [٣٢].

وعلى عكس من سبقه من مؤرخي السريان، يبدو واضحاً من هذا النص الذي يقدمه لنا "ابن الفنكي" أنه لم ينظر إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– على أنه زعيم دنيوي أو تقليدي، بل نظر إليه على أنه زعيم روحي ومؤسس عقيدة جديدة وإن لم يسمها تتمثل في عبادة الله الواحد الأحد، التي كانت سبب انتصار المسلمين حسب استنتاجه. ورغم اعترافهما بأن هذا النص الفريد يعطي محمداً –صلى الله عليه وسلم– صفة الرسول المجدد لدين إبراهيم –عليه السلام– ، إلا أن ذلك كله لم يكن مقنعاً بما يكفي لمؤلفي كتاب "الهاجرية" لإعطائه –صلى الله عليه وسلم– مكانة "النبي" الكاملة بقدر ما كان "واعظاً" حسب مزاعمهما[٣٣]. ولا شك أن توظيف هذا النص بالتحديد في جدلية كرونة وكوك غير منصفة لأسباب عديدة. إذ يبدو واضحاً أنهما استخلصا من وجهة نظر واحدة ما يدعم جدليتهما دون أن يكلفا نفسيهما التساؤل عن السبب في تكون صورة "الواعظ" أو "المرشد" لدى ابن الفنكي، فضلاً عن نقاش سبب ذلك التباين بين هذا المؤرخ ومؤرخين سريان معاصرين في حكمهم على شخصية النبي –

32 Brock, Op.cit, p 61.

33 Crone and Cook, Op.cit, p 11, p 16, p 25, p 29, p 83, p 103, p 109.

صلى الله عليه وسلم- في تلك المرحلة التاريخية المبكرة، القرن السابع الميلادي.

ويتضح مما سبق أن نظرة المؤرخين السريان إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- طيلة القرن السابع بقيت قاصرة عن أن تصل البعد الحقيقي له -عليه الصلاة والسلام- على أنه نبي يحمل رسالة سماوية كما هو حال إيمانهم بالسيد المسيح -عليه السلام-، ولم نجد بين هؤلاء من اقترب في فهمه لحقيقة النبي -صلى الله عليه وسلم- سوى يوحنا بن الفنكي كما سبق ذكره، غير أن نظرته لم تصل إلى الفهم الكامل بقدر ما تصورته على أنه مرشد روحي لقومه العرب. وإذا اعتبر كرونة ومايكل أن في هذه الإشارات التاريخية دلالة على عدم ثبات نبوته - صلى الله عليه وسلم- ونفي حقائق أخرى ليست مجال هذه الدراسة[٣٤]، فإنه ليس من الحصافة التاريخية أخذ تلك الإشارات التاريخية على أنها حقائق مكتملة، فقد ركز مؤلفي "الهاجرية" على توظيف نصوص هؤلاء المؤرخين السريان في جدليتهم تجاه الإسلام المبكر أكثر من دراسة مناهجهم في تدوين حولياتهم وجمع مادتهم. فضلاً عن تجاهلهما الأخذ في الاعتبار ما ورد في أنواع أخرى من المصادر، كالنقوش والآثار، والمصادر السريانية اللاحقة من تفاصيل واسعة ستعكس بلا شك صورة أوضح خلاف تلك التي ادعتها كرونة وكوك.

إن السمة البارزة في حوليات هؤلاء المؤرخين السريان، هي أن مصادرهم التي استقوا منها معلوماتهم بقيت "مجهولة" في - غالبها -، فهم لا يكلفون أنفسهم عناء الإشارة إلى مصادرهم الأولية بل يكتفون بتدوين الخبر بصورة مقتضبة - في أحيان كثيرة - متبعين في ذلك المنهج الحولي. ويبدو واضحاً أن معظم هؤلاء اعتمدوا على ما يصلهم من روايات شفهية بشكل كبير لجمع مادتهم التاريخية وتدوينها، وهذا ما يجعلها عرضة للتحريف والتزييف والمبالغة والنقصان. والأخطر من ذلك أنهم بنوا تصورهم التاريخي للأحداث والشخصيات من منطلقهم الديني، الحضاري والسياسي، لذلك فمن الطبيعي أن تكون الصورة الحقيقة لهؤلاء الفاتحين العرب منقوصة لديهم.

القرن الثامن الميلادي/ الثاني الهجري: ملامح النبوة

يبدو أن الحقبة الزمنية التي شملت أواخر القرن الأول والربع الأول من القرن الثاني الهجري شهدت تطوراً مهماً في التصور السرياني لشخصية النبي - صلى الله عليه وسلم- ، خاصة و أنها شهدت ترسخ الحكم العربي الإسلامي في المنطقة واصطباغ مجتمعها بالحضارة الإسلامية. ومن البدهي أن يكون ذلك مدعاة لاختلاط المؤرخين السريان بالمجتمع المسلم وتكوين فهم أعمق وأشمل عن شخصية محمد

---

٣٤ و أبرز هذه الإدعاءات تقديم تصور مختلف قائم على أن الإسلام كان خليطاً من المعتقدات اليهودية و النصرانية التي تطورت فيما بعد لتشكل الإسلام. أنظر:
Crone and Cook, Op.cit, p 11, p 16, p 25, p 29, p 83, p 103, p 109.

-صلى الله عليه وسلم- فضلاً عن الإسلام نفسه كدين سماوي جديد عليهم. غير أن تطور هذا الفهم بدأ بطيئاً وغير قادر على تكوين صورة واضحة عن نبي الإسلام.

فمن أوائل مصادر هذه المرحلة "حولية الراهب القرطميني" الذي عاش بين النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي وحتى الربع الأول من القرن التاسع الميلادي بأنطاكية، والتي أشار مؤلفها في أحداث سنة ٦٢١م إلى: "ظهور محمد -صلى الله عليه وسلم- كأول ملك للعرب، وقدم الأضحية الأولى وأطعم العرب على غير عوائدهم ....ومنذ ذلك الحين ابتدأ حساب السنين لديهم"، لكنه يشير في موقع آخر إلى وفاة محمد -صلى الله عليه وسلم- ملك العرب ضمن سرده لحوادث العام ٦٣١م/ ٩ و ١٠هـ [35].

ومن الملاحظ أن هذا النص المقتضب يتشابه - كثيراً - مع رواية الرهاوي في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم- على أنه ملك، إلا أن اهتمامه بتوثيق أحد الجوانب الدينية المتمثل في الأضحية يعكس تطوراً لافتاً في تطور هذا الفهم السرياني المبكر لحقيقة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، إذ انتقل به المؤلف من رجل الدولة إلى مؤسس لعقيدة جديدة لكنه هنا لم يفصح عن أي عقيدة تلك، وهو في هذه تحديداً يتفق مع ابن الفنكي في الحديث عن محمد -صلى الله عليه وسلم- كحامل عقيدة وإن

٣٥ الباسبريتي، منصور بن مرزوق، *حوليات الراهب القرطميني*، دهوك، ٢٠١٢م، ص ٣٩.

تحدث في شعيرة دينية مختلفة، وبدا أكثر إيجازاً في نصه الذي دّونه.

ويبدو أن هذه الصورة تطورت جلياً إلى الإشارة الصريحة له - عليه الصلاة والسلام- على أنه نبي وهو ما نقرأه بوضوح في "تاريخ الراهب الزوقنيني" الذي عاش صدراً واسعاً من القرن الثامن الميلادي[36]. ففي معرض حديثه عن الفتح العربي الإسلامي ضمن حوادث عامي ٦٢٠ - ٦٢١م[37]، يقول المؤلف: " ...لقد ظهر بينهم - أي العرب- أول ملك يدعى "محمداً" وهو الذي يدعونه "نبياً" لأنه هو الذي صرفهم عن دياناتهم المتعددة إلى عبادة إله واحد خالق للكون ..." [38].

وقد نقل ديونيسيوس التلمحري بطريرك أنطاكية[39] صاحب التاريخ الشهير الذي يُنسب إليه والذي عاش في القرن التاسع الميلادي، هذه التفاصيل دون تغيير يستحق الذكر[40].

36 Harrak, A. *The Chronicle of Zuqnīn, Parts III and IV, AD 488–775, Pont. Inst. Med. Studies, Toronto* (1999), p141 .

٣٧ الذي أجمعت عليه المصادر الإسلامية ويتفق مع السياق التاريخي للأحداث هو أن الفتح الإسلامي لفلسطين أتى بعد هذا التاريخ بمدة لا تقل عن عشر سنوات بدأت مع معركة أجنادين عام ٦٣٤م وتوجت بفتح بيت المقدس على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عام ٦٣٧م. انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٦؛ الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص٥٩.

38 Harrak, Op.cit, p 141.

٣٩ رجل دين و لاهوتي و مؤرخ سرياني مشهور وعرف بديونسيوس التلمحرى نسبة الى تلمحر التي ولد بها وهي قرية صغيرة بالقرب من مدينة الرقة ببلاد الشام حيث انتقل بعد ذلك إلى قنسرين فنشأ وترعرع وتلقى تعليمه في قبل أن يتدرج في الوظائف الدينية في إحدى أديرتها. و قد ذاعت شهرة ديونيسيوس التلمحرى بين الطوائف النصرانية في بلاد الشام بعد أصبح بطريركاً لكنيسة أنطاكية لمرة قاربت الثلاثة عقود ٨١٥-٨٤٥م. انظر: إغناطيوس، اللؤلؤ المنثور، ص ٣٣٨؛ بلال، الإسلام المبكر، ص ١٥٦.

٤٠ التلمحرى، ديونسيوس، *تاريخ الأزمان*، ترجمة وتقديم، شادية توفيق حافظ، مرجعة، محمد السيباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة،

ولا يستبعد هنا أن المؤلف قد تأثر بمن خالطهم من المسلمين مما ساعده على تكوين فهم أوضح عن النبي – صلى الله عليه وسلم–، وهو ما يتضح في حديثه عن مسألة توحيد الإلوهية وهي أصل من أصول الإسلام، و مسألة عقائدية خالصة إذا ما تم النظر لها من وجهة النظر الأخرى غير المسلمة. ورغم أن هذه التفاصيل تعترف بما جاء به عليه الصلاة والسلام من شرائع لتنقية الدين وصرف العرب عن عبادة الأوثان، إلا أنها لا تزال تقحم ثنائية الملك والنبي حول حقيقته – صلى الله عليه وسلم–. وهذا يعني أن المؤرخ الزوقنيني اعتمد في جزء كبير من كتاباته التاريخية عن هذه الحقبة من تاريخ الإسلام على سابقيه من مؤرخي السريان.

ومن مؤرخي هذه المرحلة "توفيل بن توما الرهاوي" (Theophilus of Edessa) وقد كان معاصراً للخليفة المهدي العباسي[٤١]. وقد استهل توفيل حديثه عن أحداث العام ٦٣٢م قائلاً: " وفي هذه السنة توفي محمد، مُدّعي النبوة، وزعيم السراسنة بعد تعيين قريبه أبي بكر في رئاسة القبائل، في الوقت نفسه كانت سمعته قد انتشرت في الخارج وأُصيب كل شخص بالخوف. ففي بداية ظهوره اعتقد اليهود الضالين أنه المسيح المنتظر... وينحدر (أي محمد – صلى الله عليه وسلم –) من قبيلة واسعة الانتشار، هم بنو إسماعيل بن إبراهيم"[٤٢].

ويبدو واضحاً من خلال هذه السطور أن توفيل اعتمد كثيراً على من سبقه من مؤرخي السريان في تبنيه ثنائية الزعيم الدنيوي – النبي في توصيفه للرسول – صلى الله عليه وسلم – ، بل إنه تبنى جانباً سلبياً في حكمه على حقيقة نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – حينما وصفه بـ "مدعي النبوة" وهو في حكمه هذا يظهر تبايناً واضحاً مع مؤرخين سريان اتخذوا على الأقل موقفاً محايداً رغم أنه عاش في بغداد وعاصر حكم الخليفة المهدي العباسي، وهو ما يعني بالمنطق أن توفيل لا بد وأنه اختلط بالمسلمين واطلع على شي من العلوم الشرعية وجوانب مختلفة من التراث الإسلامي تجعله أكثر وعياً بالسيرة النبوية، والصورة الحقيقية للنبي – صلى الله عليه وسلم –. وهذا ما يتبين في استعراضه لعلاقة النبي – صلى الله عليه وسلم – بالسيدة خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – التي توجت بزواجه – عليه الصلاة و السلام – منها، ويبدو أنه هنا اطلع أو سمع على الأقل عدداً لا بأس به من مرويات السيرة فنجده يقول: "..ولكونه – أي محمد

٢٠٠٨م، ص ٢٢؛ وانظر النسخة الأخرى من الكتاب التي طُبعت بعنوان: *تاريخ مار ديونسيوس التلمحري*، الجزء الرابع، نقله عن السريانية، صليبا شمعون، الموصل، ٢٠١١م، ص ١٣؛ وانظر الكتاب الذي خرج مؤخراً بعنوان: *الوقائع التاريخية السريانية من سنة ٥٨٧م – ٧٧٤م*، ترجمة بطرس قاشا، مراجعة وتقديم سهيل قاشا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٦م، ص ١٥.

٤١ منجم و مؤرخ و مترجم سرياني عمل في خدمة الخلية المهدي العباسي حتى وفاته سنة ٧٨٥م. انظر: ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي والمعروف بـابن العبري، *تاريخ مختصر الدول*، تحقيق، انطوان اليسوعي، دار الرائد اللبناني، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٦٠؛ وانظر لنفس المؤلف: *التاريخ الكنسي*، ترجمة، صليبا شمعون، دار المشرق الثقافية، دهوك، ٢٠١٢م، ج١، ص ١٢٧.

42 Edessa, Theophilus. *Theophilus of Edessa's chronicle and the circulation of historical knowledge in late antiquity and early Islam*. Transl & ed, Robert Hoyland, Liverpool University Press, 2011, p 86.

صلى الله عليه وسلم – معدماً وفقيراً، فقد دخل محمد في خدمة امرأة ثرية، وذات قرابة له في الوقت نفسه، تُدعى خديجة كعامل أجير بهدف التجارة عن طريق الجمل في مصر و فلسطين..."[43].

غير أن توفيل الرهاوي يعود في السياق التاريخي ذاته ليربط هذه العلاقة الاجتماعية بدعاوى تاريخية تجاه النبي – صلى الله عليه وسلم – لا نكاد نقرأها عند أسلافه من المؤرخين السريان "...عندما جاء – أي محمد صلى الله عليه وسلم – إلى فلسطين ، كان يلتقي باليهود والنصارى، و يسألهم في بعض المسائل الكتابية، كان يعاني أيضا من الصرع – وحاشاه صلى الله عليه وسلم –. وعندما علمت – أي خديجة رضي الله عنها – بذلك، تضايقت بشدة، حيث إنها، وهي المرأة النبيلة، تزوجت من رجل مثله لم يكن فقيرًا فحسب، بل يعاني من الصرع أيضًا..."[44]. ولم يكتف المؤلف بشبهتي تلقي مسائل الدين من النصارى واليهود أثناء وجوده في فلسطين للتجارة، و إصابته – صلى الله عليه وسلم– بالصرع، بل نجده يتجاوز ذلك إلى اتهام النبي – صلى الله عليه وسلم – بمحاولة خداع السيدة خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – عندما نزل إليه الوحي[45].

والحقيقة أنه من السهل دحض التهم الثلاث سواءً بالرجوع إلى مصادر السيرة النبوية، أو حتى حوليات التواريخ السريانية ذاتها، فالثابت في كتب السيرة والتاريخ الإسلامي أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سافر إلى الشام مرتين لغرض التجارة، حيث كانت الأولى بصحبة عمه أبي طالب وكان عمره آنذاك قرابة الاثنتي عشرة سنة، أي حوالي ٥٨٢م، و نزل ببصرى في قصة لقاءه المأثور بـ "بحيرا" الراهب[46]. أما الرحلة الثانية فقد كانت بصحبة قافلة من جمال قريش حيث خرج للتجارة بأموال زوجته خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – قرابة العام ٥٩٥م[47]. وفي كلتا الرحلتين لم تشر مصادر السيرة و التراث الإسلامي إلى أي شكل من أشكال الحوارات أو اللقاءات التي جمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – برجال دين نصارى أويهود باستثناء بحيرا الراهب كما سبق، أو حتى بنوع من النقاشات الدينية مع عامة أهل الكتاب. أما عن فرية خداعه لخديجة، فهي لا تعدو أن تكون من خيالات المؤلف الذي لم يكلف نفسه عناء ذكر مصادره. و الثابت في مصادر السيرة و التراث الإسلامي أن خديجة – رضي الله عنها –، كانت أول من آمن بالرسول – صلى الله عليه وسلم – بل وقفت معه – صلى الله

43 Edessa, Op.cit, p 87.
44 Ibid.
45 Ibid.

٤٦ ابن هشام، السيرة، ج١، ص ١٨٠؛ أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ت، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج١، ص ١٣٠؛ الطبري، التاريخ، ج٢، ص ٢٧٧؛ البيهقي، أحمد بن الحسين، *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج٢، ص ٢٧.
٤٧ ابن هشام، السيرة، ج١، ص ١٨٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ١٢٩؛ الطبري، التاريخ، ج٢، ص ٢٨٠.

عليه وسلم – في مرحلة الدعوة المكية مادياً و معنوياً حتى وفاتها سنة ٣ ق. هـ/ ٦٢٠م[٤٨].

أما في حوليات التواريخ السريانية، فلم يتطرق من عاصر حقبة صدر الإسلام من المؤرخين السريان أو عاش قريباً منها كمؤلف الحولية السريانية المجهول، وتوما القسيس، ويعقوب الرهاوي، ويوحنا بن الفنكي، والراهب القرطميني والراهب الزوقنيني لمثل هذه الاتهامات فكيف يمكن قبول ما أتى به مؤرخ سرياني أدرك العصر العباسي، وهو بلا شك حقبة زمنية متأخرة عن كل من سبق ذكره ؟

إضافة إلى ما سبق، فإن ديونسيوس التملحري وهو مؤرخ معاصر لتوفيل الرهاوي لم يتطرق في تاريخه الذي اعتمد فيه على من سبقه إلى مثل هذه المزاعم. بل إن معظم من جاء بعده من مؤرخي السريان لم يحفلوا كثيراً بهذه المزاعم وأولهم اغناطيوس بن قسطنطين الذي اعتمد كثيراً على تاريخ توفيل الرهاوي كما سيتضح في السطور الآتية.

مؤرخي السريان في العصر العباسي الثاني (٩-١٠م/ ٣- ٦هـ)

شهد العصر العباسي تغيراً أكثر وضوحاً في التصور السرياني للنبي – صلى الله عليه وسلم – جاء أكثر مقاربة للإسلام في النظر إليه –صلى الله عليه وسلم– على أنه حامل رسالة سماوية و "رسول للإسلام" كما دُوّن في "وقائع سعرت" وهي حولية نسطورية لمؤلف مجهول عاش بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين [٤٩]. وقد بدأ المؤلف المجهول حديثه عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – بوضع عنوان مثير: "ظهور الإسلام ثبته الله ونصره" يقول فيه: " ... كان ظهور شريعة الإسلام في سنة خمس وثمانين وتسع مائة للإسكندر ... ظهر بأرض تهامة محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم –عليه السلام– ودعا العرب إلى عبادة الله تعالى ..." [٥٠].

وقد كانت هذه الحولية محط اهتمام عدد من الدارسين المحدثين، ومن أوائلهم "محمد حميدالله" غير أنه اقتصر على مناقشة صحة نسخة العهد الذي كتبه – صلى الله عليه وسلم – لنصارى نجران، و شدد فيه على أن هذه النسخة تحديداً " من الموضوعات". وهو رأي عارضه أحمد الوكيل وجون مارو (John A. Morrow) بحجة أن الوثيقة تمثل الاتجاه العام لسياسة النبي –صلى الله عليه وسلم– تجاه أهل الذمة[٥١]. و قد ناقش الباحث جميع هذه الآراء ورجح بقوة رأي حميد الله لعوامل عدة من أبرزها أن الوثيقة احتوت أسماء شخصيات مجهولة زعم صاحبها أنهم صحابة رغم أنهم لم يردوا في

٤٨ ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٤١٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص ١٨.

49 Wood, Philip. *The Chronicle of Seert, Christian Historical Imagination in Late Antique Iraq*, Oxford University Press, 2013, p 3.

50 Scher, Op.cit, p 600.

51 Morrow, John A.. *The covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of the world,* Tacoma, Washington, Angelico Press, Sophia Perennis, 2013, p 115؛ EL-WAKIL, Ahmad, " The Prophet's Treaty with the Christians of Najran: An Analytical Study to Determine the Authenticity of the Covenants ", *Journal of Islamic Studies*, Volume 27, Issue 3, 1 September 2016, p 273–354, p 334.

كتب الطبقات والتراجم، كما أشارت إلى جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – وهو صحابي استشهد في معركة مؤتة عام ٨ هـ / ٦٢٩م، أي قبل لقاء وفد النصارى بالنبي – صلى الله عليه وسلم – بأكثر من عام، إضافة إلى أن لغة الوثيقة المتكلفة لا تنتمي إلى اللغة التي استخدمها النبي – صلى الله عليه وسلم– في مكاتباته والتي تتسم بالاختصار والبلاغة في آن واحد [٥٢].

أما "فيليب وود" فقد حاول تتبع المصادر التي اعتمد عليها مؤلف الحولية المجهول فوجد أنه استقى الجزء الأكبر من مادته من مصادر سريانية أقدم وحوليات للتاريخ الكنسي تعود إلى القرنين السادس والسابع الميلاديين، بعضها مفقود وبعض لا زال متداولاً [٥٣].

والحقيقة أن ما احتواه هذا التاريخ المجهول من تفاصيل مهمة عن العلاقات الإسلامية– النصرانية المبكرة يؤيد هذا الاستنتاج بقوة، فقد تحدث المؤلف عن اتصال بطريرك النصارى النساطرة "ايشوعياب الجدالي" بالنبي – صلى الله عليه وسلم– وخليفته أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وذلك حينما أرسل "جبريل الأسقف" وفداً محملاً بالهدايا والألطاف إليه – عليه الصلاة والسلام– لكن الوفد وصل بعد وفاته فاستقبله أبو بكر وأكرم نزله [٥٤]. غير أن عدم ذكر مثل هذه التفاصيل التاريخية فيما توفر للباحث من مصادر إسلامية يطرح تساؤلاً وجيهاً حول مدى صحتها، أو على الأقل عدم ورودها فيما توفر من مصادر إسلامية متاحة. و بالمجمل فإن ما يهم سؤال الدراسة الحالية في التفاصيل السابقة يكمن في اعتماد مؤلفها بشكل كبير على مصادر نصرانية مبكرة ربما حمل بعضها تصوراً أوضح حول حقيقة نبوته – صلى الله عليه وسلم – والدين الإسلامي الذي دعا إليه من وجهة النظر السريانية.

وفي كتاب " المنتخب من تاريخ المنبجي" لأغناطيوس (أو أغابيوس) بن قسطنطين المنبجي" الذي عاش في القرن العاشر الميلادي تتكرر صورة رجل الدولة والنبي الذي يبشر بدين جديد على نحو لا يختلف عن القرطميني والراهب الزوقنيني وكذلك ديونسيوس التملحري إذ يقول المنبجي في حوادث العام :" تحرك العرب بيثرب ورأّسوا عليهم رجلاً يقال له محمد بن عبدالله لهم رئيساً وملكاً، ودبرهم عشر سنين، واجتمع إليه أهله وأقاربه وقومه، فأخذهم بالإيمان بالله وحده، لا شريك له، ورفض عبادة الأوثان، فردوا الله وحده بالعبادة، وأمرهم بالختانة، وترك شرب الخمر، وألا يأكلوا الخنزير ولا الميتة والدم، وأن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة ..." [٥٥].

52 Al-Nahee, O, "*The Religious Structure of Najrān in Late Pre-Islamic And Early Islamic History: From the end of The Ḥimyarite Kingdom until the end of the Rashidun Caliphate (525-661 CE)*", a PhD thesis, p 128.

53 Wood, Op.cit, p 3؛ Wood, The Sources of the Chronicle of Seert, Phases in the Writing of History and Hagiography in Late Antique Iraq", Oriens Christianus 96 (2014): pp 106-148, p107؛

54 Scher, Op.cit, p 618.

٥٥ المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين، *المنتخب من تاريخ المنبجي*، تحقيق، عمر تدمري، درا المنصور، طرابلس، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٣٢.

و يبدو هنا أن المنبجي شابه كثير من سابقيه المؤرخين السريان في تبنيه لثنائية الملك والنبي عند الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولم يستطع التخلص من الفكرة الزاعمة أن محمداً – صلى الله عليه وسلم– كان ملكاً – وحاشاه ذلك–، رغم الحقبة الزمنية المتأخرة التي عاش بها في كنف الحكم الإسلامي. وهنا نجد أنه – أي اغناطيوس– بدا أكثر فهماً واستيعاباً لأركان الدين الجديد أكثر من سابقيه المؤرخين السريان، فقد أتى على أركان الإسلام الخمس ومحرمات أساسية في الشريعة الإسلامية كالميتة ولحم الخنزير، بل نجده في نص آخر يشير إلى أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أمر أمته بالإيمان بالأنبياء والرسل والكتب التي أنزلت عليهم مع تركيزه الواضح على قضية إيمان المسلمين بالسيد المسيح – عليه السلام– [٥٦]. ويبدو أن المنبجي هنا تأثر بقربه من المسلمين واختلاطه بهم واطلاعه عن قرب على الدين الإسلامي وما أنتجته أُمة الإسلام من تراث مكتوب في فنون عديدة أهمها التاريخ والتراجم والأدب و إذا ما نظرنا إلى الحقبة التي عاشها المؤلف، أي القرن الرابع الهجري نجدها كافية لأي نصراني أويهودي عاش في كنف دولة الإسلام أن يفهم عقائدها.

لكن الأكثر إثارة في نص المؤلف اعترافه بذلك التعامل الحضاري للرسول – صلى الله عليه وسلم– مع من خضع له من النصارى واليهود وغيرهم فنجده يقول: " وأتاه النصارى من العرب وغيرهم فأمنهم، وكتب لهم كتباً وكذلك سائر الأمم المخالفين له كاليهود، والمجوس، والصابئة، وغيرهم. فبايعوه وأخذوا منه الأمان، على أن يؤدوا الجزية والخراج..."[٥٧]. وهذا يؤكد مصداقية كثير من مما أوردته المصادر الإسلامية عن سياسة النبي – صلى الله عليه وسلم– تجاه من احتفظ بدينه من النصارى و اليهود والزرادشت و من دخل في حكمهم من غير المسلمين، بل إنه هنا يقدم رداً غير مباشر على شكوك "كرونة" و "دونر" حول مصداقية المصادر الإسلامية.

وإضافة إلى ما سبق، فثمة مسألة لابد من التطرق لها هنا، إذ نجد أن المنبجي تجاهل اتهامات توفيل الرهاوي في تاريخه للنبي – صلى الله عليه وسلم – بالأخذ من اليهود والنصارى، والصرع، ومحاولة خداع زوجته خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها–، رغم اعتماده الكبير في مادته التاريخية، واكتفى بالحديث عن ظهوره – صلى الله عليه وسلم –، وأهم ما جاء به من تعاليم الدين. ويبدو أن المؤرخ تعمد تجاهل هذه الاتهامات عن قناعة بعدم مصداقية ما ورد فيها. وهو ما يضيف سبباً آخر لدحض شبهات توفيل الرهاوي حول السيرة النبوية.

وقريب من هذه الحقبة أو بعدها بقليل أي مطلع القرن الحادي عشر الميلادي/ منتصف القرن الرابع الهجري يقدم مؤرخ سرياني آخر يُدعى ايليا

---

٥٦ المنبجي، المنتخب، ص٣٣.

٥٧ المصدر نفسه.

برشينايا[٥٨] صورة تكاد تكون منسوخة لتلك التي قدمها المنبجي ومن سبقوه حول ثنائية رجل الدولة والنبي[٥٩]. يقول ايليا برشينايا في معرض حديثه عن حوادث الجمعة ١٦ يوليو ٩٣٣ للتقويم اليوناني/ ٦٢٢م/ السنة الأولى للهجرة:" فيها هاجر محمد بن عبدالله (–صلى الله عليه وسلم–) نبي المسلمين وأول ملوكهم إلى مدينة يثرب وملكها يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول ..."[٦٠].

ويبدو واضحاً أن المؤرخ في هذا النص لم يقدم جديداً عمن سبقه من مؤرخي السريان. بل أن ايليا بريشانيا يبدو من خلال حديثه عن النبي – صلى الله عليه وسلم– وكأنه يميل إلى أن يكون مجرد ناقل عمن سبقه من مؤرخين مسلمين وسريان على حد سواء. فهو إلى جانب تبنيه لثنائية النبي – الملك نجده يوثّق لعدد من حوادث السيرة الشهيرة كمعركة بدر، وغزوة بني النضير، وغزوة الأحزاب ووفاته – عليه الصلاة والسلام– [٦١]. ولعل في ما ذكره من تفاصيل هذه الحوادث إلى جانب استخدامه للتاريخ الهجري باليوم والشهر و السنة ما يعطي دلالة واضحة على اعتماد المؤلف الكبير على مؤرخي السيرة المسلمين وإن لم يذكرهم.

وبالانتقال إلى القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري فإن أهم مؤرخي هذه المرحلة هو "ميخائيل السرياني" صاحب التاريخ المنسوب إليه [٦٢]. وقد قدم سرداً تفصيلياً أكثر ممن سبقه من المؤرخين السريان معتمداً فيه على خليط من المصادر اليونانية، والسريانية والفارسية [٦٣]. ولقد بيّن ميخائيل وجهة نظره حول النبي – صلى الله عليه وسلم – قائلا:"... ظهر في منطقة يثرب شخص يُدعى محمد –صلى الله عليه وسلم– من قبيلة قريش، وقال إنه نبي، ويُدعى أتباعه "مسلمين" أو "إسماعيليين" أو "هاجريين" ..." [٦٤]. ويبدو واضحاً هنا أن المؤلف استقى معظم معلوماته هنا ممن سبقه من المؤرخين السريان كيعقوب الرهاوي، و التلمحري، و تاريخ باسيليوس الرهاوي المعروف بأبي الفرج بن شومة[٦٥]،

---

٥٨ ايليا برشينايا النسطوري و يعرف أيضاً بإيليا ابن السنى و ايليا النصيبي وهو رجل دين و مؤرخ سرياني ولدة سنة٣٦٤هـ / ٩٧٤م في مدينة السن (قرديلاباد) الواقعة على الضفة الغربية لنهر دجلة. أصبح أسقفاً لباهذرا (زاخو) في عام ٣٩٢م/ ٣٨٤هـ ثم مطراناً لنصيبين عام ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م باسم يوانيس بن عيسى. كانت وفاته بنصيبين عام ١٠٤٦م/ ٤٣٣هـ. بن متى، عمرو، *أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل*، روما، ١٨٩٦م، ص ٩٧؛ بن سليمان، ماري، *أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل*، روما، مطبعة رومية الكبرى، ١٨٩٩، ص١١٨؛ برشينايا، ايليا، *تاريخ ايليا برشينايا*، ت، يوسف حبي، مطبوعات مجمع اللغة السريانية، بغداد، ١٩٧٥م، ص ٤.

٥٩ برشينايا، تاريخ ايليا برشينايا، ص ١٢٨.

٦٠ المصدر نفسه.

٦١ المصدر نفسه.

٦٢ ولد لقس سرياني اسمه إيليا في بلدة ملطية شرقي الأناضول عام ١١٢٦م، نشأ وتلقى تعليمه في عدد من الأديرة ثم تدرج في سلك المناصب الدينية حتى أصبح بطريركاً للكنيسة السريانية الشرقية بأنطاكية عام ١١٦٦م وظل بها حتى وفاته عام ١١٩٩م. أفرام، اللؤلؤ المنثور، ص ٣٩٤؛ بلال، الإسلام المبكر، ص ١١٦.

Wright, William. *A Short History of Syriac Literature*, Eugene, Wipf and Stock Publishers, 2016, p 250.

٦٣ بلال، الإسلام المبكر، ص ١٤١.

٦٤ السرياني، ميخائيل، *تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية*، ترجمة، مارغريغورس صليبا شمعون ،دار ماردين، حلب، ج٢، ١٩٩٦م ، ص ٢٩٧.

٦٥ باسيليوس ابن شومنة ويُعرف بأبي الفرج الرهاوي وهو رجل دين ومؤرخ سرياني ولد وتلقى تعليمه بمدينة الرها الشهيرة أيام الاحتلال الصليبي وتدرج في الوظائف الكهنوتية ثم ارتحل إلى القسطنطينية عام ١١٢٢م وأصبح مطراناً وبقي متنقلاً في عدد الوظائف الكهنوتية حتى وفاته عام ١١٦٩م. له عدد من المؤلفات في التاريخ واللاهوت ومن أهمها تاريخه الشهير عن مدينة الرها حتى أيامه. أفرام، اللؤلؤ المنثور، ص ٣٨١.

وتاريخ جرجس أسقف العرب وغيرهم[٦٦]، وهو ما يتبين في اقتباسه لمفردات "الهاجريين" ، "الإسماعيليين"، "الطائيين" وغيرها، غير أن اللافت أن محمد مجيد بلال في دراسته الخاصة عن " تاريخ ميخائيل السرياني" لم يُشر إلى الحولية الأحوازية، وتاريخ الراهب القرطميني، وتاريخ الزوقنيني، وتاريخ توفيل الرهاوي وغيرها من مصادر بعضها أقدم من تلك التي وردت في الدراسة الحديثة[٦٧]، رغم أن كثيراً من ملامح ومفردات هذا النص تحديداً الذي يورده السرياني في تاريخه تبدو متشابهة إن لم تكن مقتبسة من هذه المصادر.

وفي مكان آخر من نقاشه لشخصية النبي – صلى الله عليه وسلم–، تناول ميخائيل السرياني بشيء من التفصيل ما أسماه بنظرة النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى السيد المسيح، وحقيقة صلبه، والسيدة مريم العذراء وهي في الحقيقة عقيدة الإسلام في عيسى بن مريم –عليه السلام–. ويبدو أن المؤلف هنا أخذ أكثر هذه المسائل من اطلاعه الشخصي على مؤلفات علماء الإسلام سواء في العقيدة أو التفسير ونحوها أو حتى ممن خالطهم من المسلمين خاصة وأنه عاش متنقلاً بين مدينة ملطية وبلاد الشام وهو ما جعله على ما يبدو على اطلاع قريب على التراث الإسلامي [٦٨].

ويستمر التعجب حينما ننتقل إلى مكان آخر في رواية السرياني حينما تحدث عن ذهابه – صلى الله عليه وسلم– إلى فلسطين للتجارة وهي معلومة ليس من المستبعد أن المؤلف اقتبسها من مصادر إسلاميه[٦٩]. ولعل اللافت في نص ميخائيل السرياني يتبين في استخدامه لمفردة "مسلمين" كأحد المصطلحات التي عرّف بها العرب الفاتحين أنفسهم على حد تعبيره. غير أن المؤلف نحا في تعريفه للإسلام منحاً غريباً، إذ رأى في ذهاب النبي – صلى الله عليه وسلم– إلى بلاد الشام للتجارة دليلاً على مزاعمه التي اتهمه فيها، وحاشاه – صلى الله عليه وسلم–، بالتأثر بعقيدة يهود بلاد الشام ثم طرحها بين المسلمين [٧٠]. وليس مستبعداً أن ميخائيل السرياني هنا قد نقل هذا الزعم عن توفيل الرهاوي في تاريخيه الذي سبق مناقشته في سطور سابقة من هذه الدراسة، و يبدو أن هذا الزعم – تحديداً– كان محركاً رئيساً لمزاعم مؤلفي كتابي "الهاجرية" و "محمد وجماعة المؤمنين" القائلة أن الإسلام ربما كان خليطاً من عقائد يهودية– نصرانية[٧١]. وإذا تجاوزنا إشكالية الكتابين إلى "محمد مجيد بلال" في دراسته الحديثة التي تناولت هذا النص تحديداً، نجد

٦٦ مار جرجس أو جاورجي أسقف العرب رجل دين سرياني ولد ونشأ وتلقى تعليمه في قنسرين ثم تدرج في الوظائف الكهنوتية حتى أصبح أسقفاً لقبائل عرب الجزيرة طيء وعُقيل وتنوخ فعرف بأسقف العرب عام٦٨٦م واتخذ من أبرشية "عاقولا" أو الكوفة حالياً مقراً له حتى وفاته سنة ٧٢٤م. له العديد من المؤلفات في اللاهوت والفلسفة وكتاب التاريخ المفقود. أفرام، اللؤلؤ المنثور، ص ٣٠٩- ٣١٣.

٦٧ بلال، الإسلام المبكر، ص ١٥٨.

٦٨ أفرام، اللؤلؤ المنثور، ص ٣٩٦؛ ابن العبري، التاريخ الكنسي، ج١، ص ١٤٥.

٦٩ السرياني، تاريخ ميخائيل السرياني، ج٢، ص ٢٩٧.

٧٠ المصدر نفسه ، ج٢، ص ٢٩٨.

٧١ انظر ص ٤ من هذه الدراسة.

أن محمد مجيد بلال ركّز على تفنيد الشبهات التي رافقت قضية خروجه – صلى الله عليه وسلم– إلى الشام والتي كانت ذريعة لبعض مدراس الإستشراق في اتهامه – عليه الصلاة والسلام– بالأخذ من اليهودية أو النصرانية [٧٢]. لكننا لا نجد نقاشاً يركز على مسألة المصادر التي اعتمد عليها ميخائيل السرياني في تبني مثل هذه المزاعم الخاوية من أي مصدر يستحق الذكر، وقد تجاوز الباحث المصادر السريانية إلى مصادر نصرانية أخرى كالمصادر الأرمينية واليونانية و القبطية فلم يجد فيها ما يشابه مزاعم مؤرخ متأخر كميخائيل السرياني[٧٣].

إن ما سبق من مزاعم تبناها ميخائيل السرياني لا تصمد أمام معايير البحث التاريخي الحديث، إذا لا يوجد لها سند في ما توفر للباحث من مصادر سريانية مبكرة سبق مناقشتها في هذا البحث، فمعظم مؤرخي تلك المرحلة كصاحب الحولية الأحوازية، و توما القسيس، والراهب القرطميني كانوا يصورن النبي –صلى الله عليه وسلم– في أبعد الحالات على أنه زعيم دنيوي "ملك"، بينما لم يشر هؤلاء الذين تحدثوا عن العقيدة التي أتى بها – صلى الله عليه وسلم– على أنها مستوحاة من اليهودية أو من أي ديانة أخرى[٧٤]. إضافة إلى ذلك كله لم يذكر ميخائيل مصادره التي استقى منها هذه المزاعم إذ ظلت السردية التاريخية طاغية على عرضه التاريخي دون إسناد مصدري لما يقول. بل إننا نجد في بعض تلك المصادر السريانية التي سبقته ما ينسف مزاعم ميخائيل السرياني وبالتحديد "وقائع سعرت" التي تحدث مؤلفها المجهول عن ظهور "صاحب شريعة الإسلام".

وثمة عامل آخر لا يمكن استبعاده من كتابات ميخائيل السرياني حول النبي –صلى الله عليه وسلم–، ونقصد هنا طبيعة الأوضاع السياسية والدينية التي عاشها ميخائيل السرياني في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري فقد كانت الحروب الصليبية في بلاد الشام في ذروتها حيث عاصر المؤلف حروب صلاح الدين الأيوبي مع الصليبيين وما حققه من انتصارات لابد أن تصل أصداؤها إلى مسامع بطريرك أنطاكية. وقد صاحب هذه الحروب توتراً دينياً وسياسياً بين الأغلبية المسلمة والأقليات النصرانية في بلاد الشام بسبب تعاون بعض أبناء تلك الأقليات مع الفرنجة. فليس من المستبعد أن يؤثر هذا الصراع الطائفي والديني

---

٧٢ بلال، الإسلام المبكر، ص ٢٦٦.

٧٣ ابن البطريق، سعيد، *التاريخ المجموع على التحقيق و التصديق*، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت، ١٩٠٩، ج٢، ص٧؛ ابن المقفع، ساويرس، *تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة*، إعداد و تحقيق، عبدالعزيز جمال الدين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ج ٢، ص ٢٩؛ مؤلف مجهول، *تاريخ ملوك القسطنطينية*، تحقيق، طارق منصور، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٨،ص ١٤٦.
و تاريخ سيبوس الأرمني الذي عاش في القرن السابع الميلادي وعاصر الظهور الأول للإسلام. انظر:
Sebeos, Robert, Thomson, William, and James Howard-Johnston. *The Armenian history attributed to Sebeos*, Liverpool, Liverpool University Press, 1999, p 156.
و انظر في كتاب
Holyand, Op.cit, pp 278- 293, pp 294- 315.

٧٤ انظر ص ٨- ١٥ من هذه الدراسة.

في تبني ميخائيل السرياني وجهة نظر مضادة في خضم هذا الصراع.

و تبدو صورة الرسول –صلى الله عليه وسلم– أكثر وضوحاً وإيجابية في مصادر سرياني متأخرة وصفته بـ" نبي العرب" أو "صاحب شريعة الإسلام"[٧٥]. فقد تحدث رجل الدين النسطوري ماري بن سليمان في كتابه المجدل[٧٦]، عن النبي – صلى الله عليه وسلم– في معرض ترجمته للبطريرك ايشوعيب الجدالي : " ... وكان هذا الفطرك يكاتب شريعة الإسلام ويهدي له ويسأله الوصاة برعيته فأجابه إلى ذلك، وكتب إلى أصحابه كتباً بليغة مؤكدة، وبره صاحب شريعة الإسلام عليه السلام ..." [٧٧].

وقد شكك مؤلف " الفتوحات العربية " في صحة هذه الاتصالات المزعومة بين النبي – صلى الله عليه وسلم– وهذا البطريرك و صحة ما كتبه له من عهود مزعومة لعدم ورودها ضمن مكاتبات النبي – صلى الله عليه وسلم– التي وثقتها لنا المصادر الاسلامية أو بقيت بعض آثاراها المادية [٧٨]. ويبدو ان ابن سليمان هنا اعتمد على مصدر سرياني أقدم ألا وهو "وقائع سعرت" الذي أورد نصوص عهود شكك في صحتها بقوة محمد حميدة كما سبق أن ورد من خلال هذا البحث. و في المجمل فإن ابن سليمان يتشابه كثيراً مع مؤلف حولية "سعرت" في تخلصه من ثنائية "النبي – الملك" التي حفلت بها العديد من المصادر السريانية وخاصة المبكرة كما أسلفنا، فنظرته للنبي – صلى الله عليه وسلم – بدت مقاربة لما يؤمن به المسلمون في كتبهم وتواريخهم و إن كانت من وجهة نظر نصرانية شرقية.

الخاتمة

يتضح من خلال هذه الدراسة أن أول ذكر للرسول – صلى الله عليه وسلم– في المصادر السريانية يعود إلى العام ١٥هـ/ ٦٣٦م وهي بلا شك مرحلة مبكرة للغاية مقارنة بغيرها من المصادر الأخرى، غير أن ذلك لا يعني تقديمه – صلى الله عليه وسلم – على أنه نبي للعالمين أو حتى وصف أتباعه بالمسلمين. فقد استغرقت الصورة الحقيقة للرسول – صلى الله عليه وسلم – في هذا النوع من المصادر وقتاً لتصل إلى نقطة التقاء مع المصادر الإسلامية في النظر إليه على أنه رسول للإسلام، فمع انطلاقة الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام والرافدين وطيلة القرن السابع الميلادي اتسمت المصادر السريانية كما في "النبذة التاريخية، و"الحولية الأحوازية" و"حولية توما القسيس"، و "تاريخ يعقوب الرهاوي" بنظرة مرتبكة وغامضة تردد اسمه – صلى الله عليه وسلم – المجرد "محمد" على أنه زعيم دنيوي لهؤلاء الفاتحين القادمين من الصحراء. غير أن هذه الصورة بدأت

---

٧٥ بن متى، المجدل، ص ٥٤؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ، ج٢، ص ٢٥؛ و نفس المؤلف: التاريخ الكنسي، ج٢، ص ٢٥.
Scher, Op.cit,, p 540 .

٧٦ ماري بن سليمان عالم نسطوري من القرن الثاني عشر. انظر: سركيس، يوسف بن إليان بن موسى، *معجم المطبوعات العربية والمعربة مطبعة سركيس*، مصر ، ١٣٤٦ هـ/ ١٩٢٨ م، ج٢، ص١٢٥٥.

٧٧ بن سليمان، أخبار فطاركة كرسي، ص٦٢.

٧٨ عيثاني، الفتوحات العربية، ص ٢٥٩.

في التغير كما في تاريخ "يوحنا بن الفنكي" حينما بدأ ينظر إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– كزعيم روحي و حامل عقيدة جديدة تتشابه مع النصرانية بحسب وجهة نظره.

وقد شهد القرن الثامن الميلادي تطوراً ملحوظاً في التصور السرياني للرسول – صلى الله عليه وسلم – تمثل في ترسخ مفهوم حامل العقيدة الجديدة أو "كنبي لقومه" كما تقدمه حوليات الراهب القرطميني، و الراهب الزوقنيني، و تواريخ ديونيسيوس التلمحري، و توفيل الرهاوي. ولا شك أن ترسخ الحكم الإسلامي في البلاد التي تسكنها طوائف النصارى السريان في تحسين هذه الصورة إلى الحقيقة، غير أن استمرار هؤلاء المؤرخين في تبني نظرية الزعيم الدنيوي – النبي يجعل حقيقة النبي – صلى الله عليه وسلم – غير مكتملة في الحوليات السريانية هذا القرن.

أما المؤرخون السريان المتأخرون منذ القرن التاسع الميلادي فقد كانوا - بلا شك- أكثر استيعاباً و تفهماً لحقيقة رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – كما في "حولية سعرت" لمؤرخ مجهول، وتاريخ اغناطيوس المنبجي، وكتاب المجدل لرجل الدين النسطوري ماري بن سليمان. ويبدو أن العلاقات الحسنة التي ربطت المسلمين بالأقليات النصرانية الشرقية قد ساعدت على تقديم فهم أوضح لحقيقة الرسول صلى الله عليه وسلم – عند مؤرخي و علماء هذه الطوائف الذين كتبوا عنه – صلى الله عليه وسلم – بلغة تاريخية لا تخلو من الثناء و الاعتراف بعدالة رسالته السماوية، يُستثنى من ذلك ميخائيل السرياني في تاريخه المشهور الذي تبنى لغة مشابهة لتوفيل الرهاوي في كيل الاتهامات للرسول – صلى الله عليه وسلم – واتهامه بالاتصال باليهود و التأثر بمعتقداتهم وهو ما سبق تفنيده بالتفصيل.

و الملاحظ أن بعض هذه التواريخ السريانية لا تخلوا من شبهات و مزاعم تجاه شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم – كما في تاريخي توفيل الرهاوي و ميخائيل السرياني وهما تاريخين متأخرين نسبياً عن حوليات أخرى مبكرة لم تتطرق لهذه المزاعم.

وفي مسألة أخرى، فإن وصف السياق الديني للإسلام (Religious Context) الذي قدمته معظم المصادر السريانية التي ذُكرت من خلال هذا البحث يُسقط بشكل واضح مزاعم كرونة، وكوك، ودونر حول الذي يزعم أن الإسلام كان خليطاً من عقائد يهودية – نصرانية، ذلك أن هذا السياق يشرح لنا بوضوح أن الدين الذي جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– يؤكد على وحدانية الخالق –عز وجل–، و بشرية المسيح، وتحريم الخمر وغيرها.

غير أن المفاجأة الأهم بالنسبة إلى الباحث – على الأقل – أن مؤلفي كتابي "الهاجريون" و " محمد وجماعة المؤمنين" على الأرجح لم يطلعا على كثير من التواريخ السريانية السابقة، فضلاً أن النقاش في كلا العملين لم يسلط الضوء بشكل منصف على تطور مصطلح "نبي" خلال تلك المصادر. بل أنهما

ظهرا " انتقائيين" في طرح شبهاتهما وكأنهما يتبنيان مزاعم "توفيل الرهاوي"، "ميخائيل السرياني" حول حقيقة رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم–، وهي مزاعم تدحضها تواريخ سريانية أخرى كـ "وقائع سعرت"، وتاريخ أغناطيوس المنبجي، وكتاب المجدل. يضاف إلى ذلك، أن مؤلفي " الهاجرية" و " محمد وجماعة المؤمنين" لم يراعيا الدور الذي قام به منهج الكتابة التاريخية للحوليات السريانية في صنع هذه الصورة المغلوطة و الذي تأثر كثيراً بالرواية الشفهية والتحولات السياسية والعقائدية والحضارية التي مرت بها بلاد الهلال الخصيب خلال مرحلة الفتوحات.

The era of the Prophet in Eastern Christian sources: a study on the development of the impression about the Prophet Muhammad –peace be upon him- in the writings of Syriac historians

Dr. Awad Abdullah S' Nahee al-Assiri
Assistant Professor of Islamic History
Najran University

Abstract. This study seeks to examine the image of Prophet Muhammad – May Allah peace upon him- through Syraic chronicles that were written by Christian Syraic historians in Mesopotamia and Syria. This type of sources was given attention by several studies who paid most of their attention on the picture of Islam in those Syraic sources in general, but not on the Prophet Muhammad himself through them, which is the main question of present study.

The current study, therefore, will highlight what was written about the Prophet Muhammad in Syraic sources during the period from 7th CE/ 1st AH to 12th CE/ 5th AH. More clearly, the research will examine the development of Prophet Muhammad's image through these sources during five centuries, with special attention on those primary sources used by Syraic historians to draw the Prophet Muhammad's image in whether, or not, he was just leader of his people, a messenger of new faith and false prophet.